

مصرع عبد العزيز

في أواخر شهر رجب سنة ١٢١٨ هـ . ، بينما كان الإمام عبد العزيز يؤدي صلاة العصر في مسجد الطريف بالدرعية ، فاجأه قاتل أثيم بطعنة خنجر ، كانت فيها منيته ، فمات شهيدا .

ويقول ابن بشر ان القاتل وثب على الإمام من الصف الثالث ، وعبد العزيز في السجود (فطعنه في خاصرته ، أسفل البطن بخنجر معه قد أخفاه وأعدده لذلك .. فاضطرب أهل المسجد ، وماج بعضهم في بعض ، ولم يكونوا يدرون ما الأمر ، فممنهم المنهزم ، ومنهم الواقف ، ومنهم الكار إلى جهة العدو العادي . وكان لما طعن عبد العزيز ، أهوى إلى أخيه عبد الله ، وهو إلى جانبه وبرك عليه ليطعنه ، فنهض عليه وتصارعا وجرح عبد الله جرحاً شديداً ، ثم إن عبد الله صرعه وضربه بالسيف ، وتكاثر عليه الناس وقتلوه ، وقد تبين لهم وجه الأمر .

ثم حمل الإمام إلى قصره ، وقد غاب ذهنه وقرب نزعه ، لأن الطعنة قد هوت إلى جوفه ، فلم يلبث أن توفى ، بعد أن صعدوا به إلى القصر ، رحمه الله تعالى وعفا عنه .

واشتد الأمر بالمسلمين وبهتوا .

وكان ابنه سعود في نخلة المعروف بمشرفة في الدرعية ، فلما بلغه الخبر أقبل

مسرعا ، واجتمع الناس عنده ، وقام فيهم ووعظهم موعظة بليغة ، وعزاهم
فقام الناس وبايعوه ، خاصتهم وعامتهم ، وعزوه بأبيه) .
من هو القاتل :

يقول ابن بشر ان القاتل .. درويش جاء إلى الدرعية (وادعى أنه مهاجر
وأظهر التنسك والطاعة ، وتعلم شيئا من القرآن ، فأكرمه عبد العزيز وأعطاه
وكساه) .

ويقول مؤلف اللع إن هذا الرجل جاء من بغداد مع ركب من أهل الدرعية
فقدم على عبد العزيز ، وقال :

« أنا رجل من بغداد ، سمعت بدينك من عشر سنوات ، ولكن لم أتمكن من
الوصول اليك .. والآن — والحمد لله — قد بلغت مرادي ، فأنا أعاهدك على هذا
الدين ، وليس لي بعد ذلك رجوع إلى أهلي وعيالي ، بل داركم هذه دار هجرة
ومقام المؤمنين ، وأنتم أعز علي من جميع قومي وعشيرتي » .

وكان رجلا فصيحاً ، فقبل ذلك منه عبد العزيز ، وقرّبه إليه ، حيث أنه
رأى منه الملازمة على صلاة الجماعة والتجنب عن بعض الأمور .. المراد أن
عبد العزيز أحبه أتم محبة ، وكان إذا دخل المسجد للصلاة يجعله إلى جنبه ويقول :
هذا من الطائعين المخلصين » ..

اسم القاتل ، وبلده ، ومحرضه :

يبدأ ابن بشر بالقول ان القاتل كردي (من أهل العمادية ، بلد الأكراد
المعروف عند الموصل ، اسمه « عثمان » ، أقبل من موطنه لهذا المقصد محتسباً .)
ثم يعود فيتشكك في صحة روايته الاولى ، فيقول : (وقيل ان هذا
الدرويش ، الذي قتل عبد العزيز ، من أهل بلد الحسين ، رافضي خبيث ، خرج
من وطنه لهذا القصد ، بعد ما قتلهم سعود فيها ، وأخذ أموالهم ، فخرج ليثأر ،
وكان قصده قتل سعود ، فلم يقدر عليه ، فقتل عبد العزيز .

وهذا ، والله أعلم ، أخرى بالصواب ، لأن الأكراد ليسوا بأهل رفض ، ولا
في قلوبهم غل على المسلمين .)

والواقع ان المؤرخين اختلفوا في اسم القاتل وفي بلده وفي دافعه الى القتل!..
ولعل القاتل تسمى، في الدرعية، باسم « عثمان » ، ليبعد الشبهة عن شيعيته،
ولذلك جاء في (دوحة الوزراء) ان هذا الرجل « يقال له » : ملا عثمان ..
وفي (المع) ان اسمه الحقيقي : « علي » ، وفي رواية (التاج المكلل) ان
اسمه : « عبد القادر » .

جنسيته :

يقول ابن بشر في روايته ان القاتل عراقي .
وفي دوحة الوزراء أنه أفغاني الأصل كان يقيم في بغداد .
وفي التاج المكلل أنه فارسي الأصل من جيلان .
وفي لمع الشهاب أنه عربي من بغداد ، واسمه الكامل : الحاج علي البغدادي .
المعرض :

في التاج المكلل ان الذي حرض على القتل ودفع القاتل اليه هو ملك العجم،
لأن ابن سعود انتزع القطيف والبحرين من ملكه ، ثم خرب مشهد الحسين ،
(ولما لم يكن له طاقة في محاربته والتوصل اليه ، عمد الى الإيقاع به بالحيلة ،
فأنفذ اليه عبد القادر المذكور ، فأتى الى الدرعية وتظاهر بالدين والعبادة .)
قد تبدو هذه الرواية ضعيفة ، ولكننا وجدنا في تاريخ مانجان - وهو مؤرخ
موثوق - قصة تؤيدها ، قال : (' قتل عبد العزيز في ١٨ رجب سنة ١٢١٨ هـ .
وقد وجدوا في عمامة قاتله ورقة مغلفة من الخاتم ، كتب عليها بالفارسية هذه
الكلمات :

إن ربك ودينك يوجبان عليك قتل عبد العزيز ،

فإذا استطعت الهرب نلتَ مكافأة عظيمة ،

وإذا وقعتَ ، فاعلم أن الجنة قد فتحت لك أبوابها)

وهذه القصة - إذا صحّت - قد تدلُّ على اشتراك بعض الفرس ، سواء من
فارس أم من العراق ، في المؤامرة ، وان المباشر للقتل فارسي ، بدليل مخاطبتهم
له بلغته ، والله أعلم .

ويقول مؤلف (لمع الشهاب) ان والي بغداد علي باشا ، هو الذي دبّر المؤامرة ، ويعطينا التفاصيل الآتية :

(إن علي باشا - الذي تولى وزارة بغداد بعد سليمان باشا - كان دائم الحقد على آل سعود ، وعلى كل من هو متمسك بدعوة محمد بن عبد الوهاب . وكانت له همم عليّة وقدره جليّة في إرسال العساكر عليهم ، لكن شغله عنهم مخاصمته مع العجم ، حيث ألقى حرباً على الشاه « زاده محمد علي ميرزا » ، والي كرمنشاه .

والحاصل : ان علي باشا مرّ يوماً على جسر بغداد ، فقال لبعض ندمائه : (لو يحصل عندي من يبذل نفسه ويسير الى الدرعية ، فيقتل عبد العزيز غيلة ، لأعطيته الآن ألف ، وإذا بلغني فعله بموجب ما أريد منه ، قررت لعياله وعمال عياله وظائف من الديوان لا تنقطع أصلاً ، وكتبت كتاباً تذكر فيه اللعنة على من يخالف ذلك من وزراء بغداد بعدي .)

قال الراوي : فلما كان الغد ، أتى رجل بيده رقعة ، فوقف مقابل طارمة الباشا ، على ما يقف أهل الشكوى ، فالتفت « علي باشا » وقال : إيتوني بما في يد هذا الرجل .

فأثوه بالرقعة ، وإذا مكتوب فيها :

(من الفقير الحقير علي ، الى جناب ولي نعمته الوزير المعظم علي باشا . أما بعد .. فقد سمعت انك تريد من يكفيك شر عبد العزيز النجدي بقتله ، فهذا أنا أفعل ذلك ، بحول الله تعالى .)

فأمر علي باشا بإحضاره لديه ، وقال له : أنت علي ؟

قال : نعم .

قال : أتوفي بما قلت ؟

قال : نعم .

فأمر له بألف ذهب ، وقال : هذه توضع بيد من تأتمنه من الناس المعروفين

في بغداد ، فإذا بلغنا صنعك فهي لك ، تعطى لعيالك ، ولهم أيضاً وظيفة جارية تكفيهم من جميع الوجوه ، الى مدة بقاء الدولة العثمانية !

فسار الرجل إلى بيته وودّع عياله ، وأخذ له بعض المتاع فأحقبه على ظهره ، ثم أتى قبيل العصر إلى علي باشا واستأذن الدخول عليه فأذن له فدخل ، وقال : ها أنا سائر على بركات الله تعالى ، وأنت اصنع .. الذي وعدت به !

فنادى الباشا أحد خدامه ليأتيه بحصان أو بغل .. فقال : إني لا أريد شيئاً ، أمشي مع القوافل برسم الحاج الفقير المضطر ، حتى أصل الدرعية ..

.. فأمر علي باشا من ساعته بألف ذهب ، وضعت بيد من هو ائتمنه ، وأمر أيضاً بقدر من الطعام والدرهم سلمت إلى عياله .. ثم سار .. وكان مسيره يوم الأحد ٧ صفر (١٢١٩) فأنحدر إلى البصرة ، حتى وصل إلى الدرعية . (١)

.. وتقرب من الإمام عبد العزيز وكان يصلي في المسجد قريباً منه ، وبقي كذلك أكثر من عام يتظاهر بالتقوى والانصراف عن الدنيا وأمورها .

(.. وفي يوم الجمعة غرة رجب من العام ١٢٢٠ أخفى الحاج (علي) خنجره تحت ثيابه وصمم على قتل عبد العزيز في وسط الصلاة ، ففعل ذلك ، فخرّ عبد العزيز ميتاً .)

فنهض اليه رجال عبد العزيز وقطعوه إرباً إرباً .

وبعد شهر كامل (بلغ الخبر إلى بغداد وسمع به علي باشا وُسِرَّ به غاية السرور ، ولما تحقق أن القاتل هو الحاج (علي) البغدادي .. أرسل خلف أولاده وأكرمهم ودفع لهم الألف ذهب .. ثم أجرى لهم كل شهر كذا .. من الدراهم) .

(١) توفي الامام عبد العزيز سنة ١٢١٨ مما يدل على ضعف رواية لمع الشهاب .. وإن كان الخطأ في التاريخ لا يعني بطلان الرواية كلها .